النقد والأدب:

تظهر خصوصية النقد حين يقابل بشكل آخر هو النص الأدبي، نظرا لمتانة العلاقة المتصلة بهما، إذ لا وجود لنقد لا يعتمد في دراسته على نص أدبي، يناقش جزئياته، ويبحث في عناصره، ويكتب وفقه خطابا آخر يفك شفراته، ويشغل بواسطته محرك دلالاته.

يُسَخِّرُ الأدب كل فنيات التعبير اللغوي، في تشكيل بنية ذات عناصر متفاعلة، تجمع بين ما هو ذاتي وموضوعي، بين ما ينبثق من الفرد (المبدع)، ويطلبه الجمهور(المتلقي)، ويشمل كل الأبعاد الاجتماعية والتاريخية.

ويراعي النقد كل المبادئ العلمية والموضوعية، على أن طبيعته تأبى أن تكون "دراسة تجريدية لنظم رمزية أو فرعا من السيميولوجية (علم دراسة الرموز)"، بالنظر إلى ما تضمه من "مظاهر ومكامن الخبرة الجمالية، الحية بواقع وآفاق الحياة الاجتماعية والإنسانية في مداراتها المفتوحة"، ويشتق النقد قواعده، وأسسه من الأدب، وفقا لذلك يمكن اعتباره – تجاوزا- إبداعا فنيا، لا ينسلخ عن خصوصية الأدب، مع الأخذ بعين الاعتبار تميزه برؤية مختلفة، تقوم على منهجية صرامة، تنبع من اتجاهه العلمي الذي تحدده ضوابط العقل والمنطق، من خلال تأطير الأدب، وصولا إلى إدراك جوهر العناصر الفنية في النص الأدبي.

يتبادل النقد والأدب - كونهما وجهان لعملة واحدة - شبكة واسعة من العلائق، مع انفراد كل منهما بمجاله الخاص، ومن جملة هذه المظاهر نذكر منها الآتي:

1. المظهر التعالقي: يرتبط هذا المظهر بمدى وجود كل من النص الأدبي والنقدي؛ إذ لا وجود لنص نقدي في غياب قرينه الأدبي، الذي يهتم بملأ فجواته، وتأمل بنياته الداخلية.

2ـ المظهر الاحتوائي: يحتوي النص النقدي نظيره الأدبي، بصفته(النص الأدبي) موضوعا للدراسة، حين يستفيد من معطياته، ويناقش مكوناته الجمالية والمعرفية والفكرية.

3ـ المظهر الوظيفي: يتولى النص الأدبي تشفير الرسالة، وجعلها في شكل رموز خاصة، ليتولى النص النقدي فيما بعد مهمة فك شفراتها، لتتاح قراءتها وفقا لما حددته الإجراءات والآليات المناسبة.

4. المظهر التأويلي: يتيح النص الأدبي في شكله الكتابي المدون، المجال واسعا لتعدد القراءات نقدية، وفقا لخصوصية واجراءات المنهج المعتمد.

5ـ المظهر الحواري: يتجلى الحوار في لقاء صوتين؛ صوت الكاتب والناقد، دون مفاضلة قد يستأثر به أحد منهما على حساب الأخر.

6ـ المظهر التفاعلي: يُفَعَّلُ النقد في وجود النص الأدبي، وفقا "لعلاقة المعنى بالشكل، ولا يسع النقد أن يدعي ترجمة العمل الأدبي إلى صيغة أوضح، إذ لا صياغة أوضح من العمل الأدبي ذاته".

من خلال ما سبق، يمكن صياغة جملة من الفروق بين الأدب والنقد وفق ما أقترحه **رولان بارت**، يوضحها الجدول الآتي:

الأدب	النقد
يتعامل الأدب مباشرة مع الأشياء والظواهر.	لا يتناول العالم بل الأدب والصياغات اللغوية.
يحمل طابع تركيبي، نظمي.	تحليلي، إجرائي.
شكل من أشكال التواصل في شكله	ينتمي إلى الأيديولوجيات والثقافات والاتجاهات

الراقي.	المعرفية.
قوامه الخيال.	قوامه المعرفة.
يقوم بتشفير الرسالة.	يفك الشفرات.
علاقة اللغة بالموضوع.	علاقة اللغة باللغة.

يحتكم الأدب والنقد "لسلطة اللغة العليا (Le haut langage) أو اللغة الثانية (Le méta langage)، المنتجة للأولى"، إذ يسعى معيار اللغة إلى تفحص الطبيعة والكيفية التي يمكن التعامل بها، لإطلاق حكم يقضي بالطابع الأدبي أو النقدي للنص، بالنظر إلى أن موضع تمركز اللغة في النص الأدبي، ينحصر في المخزون النصي، الذي يتضمن المفردات وما يطرأ عليها من مجازات وانزياحات، هذه العناصر تؤسس المنطق الداخلي للنصوص، وتحكم علاقته بغيره من النصوص السابقة؛ حاضرة كانت أم غائبة.

وعليه، يكون استهداف اللغة في النص الأدبي مباشرا، اشتغالا على نظمها، وربط علاقات جديدة بعناصرها، واختراق قوانينها النحوية، وتشكيل انزياحاتها الدلالية، لتستوعب كل احتمالات المقاربة النقدية، فتجعل مؤلفه "غريبا عن إبداعه، بحيث يعجز عن استظهاره حرفيا".

إذن، اللغة في الأدب، لغة "تجمع بين عناصر النص المختلفة ومكوناته، داخل علاقة مركبة (...)، وبين المستويات اللغوية المختلفة، بين الصوت والمعنى، بين الترتيب النحوي وأنماط التيمات".

أما عن شكل اللغة في مظهرها النقدي، فهي لغة واصفة (Métalangage) تصف الموضوع اللغوي من الخارج، وهي الكلام الثاني؛ ويعني به "الكلام المبني لوصف الكلام الطبيعي، (...) وتحيل اللغة الواصفة التي هي عبارة عن أداة على المراجع الألسنية وتتكلم على أدلة الكلام الموضوع"، تشير هذه اللغة إلى مكونات لغة أخرى (صوتية، دلالية، تركيبية)، وتختص باللغة الأولى (الأدب)، كما يقول **بارت:** "كلام عن كلام، يهب لغة للكلام المحض الذي يقرأ، كما يهب للغة الأسطورية التي بها صنيع العمل الأدبي"، أي إن هذه اللغة تعامل بمنظومة خاصة من المعايير الوظيفية، التي تصف الآليات اللغوية والدلالية التي وظفها النص الأدبي، وتعيد تنظيم الدلالات، ومن ثم تقديمها في أنظمة لغوية، تتعدى البنية السطحية (الحاضرة) إلى بنيته العميقة الغائبة والمتوارية في أجزاء النص المختلفة.

تتأتى الميزة التي يحتلها النص النقدي مقارنة بالأدبي، في خضم عملية تحول تتم في غياب النص الأصلي(الأدبي) إلى صورة مشابهة له، تعكس أهم عناصره، وتبين أهم مكوناته الفنية الخفية، وربما "نجد النص النقدي يفوق بكثير النص الإبداعي في جماليته وشعريته".